19 نيللي ساخس

«لا تُعلق الذين يسكنون معك فوق الصخر .. فدموعك سوف تزعج نومك، هذا النوم القصير الذي يأتيك»

الشاعرة الألمانية الفائزة بجائزة نوبل في الأدب عام 1966م .

والتي نزحت إلى السويد هرباً من الحكم النازي .

وهي التي غلب على شعرها النزعة الدينية المستمدة من العهد القديم، كذلك تعاطفها مع الدولة العبرية!!

الميلاد وذكريات الطفولة :

ولدت الشاعرة الألمانية «نيللي ساخس» Nelly Sachs في مدينة برلين عام 1891 م لأسرة يهودية بالغة الثراء . فوالدها كان أحد رجال الصناعة اليهود .

وكانت عائلتها تقطن في فيلا فخمة في أحد أحياء برلين، ومع ذلك فكانت علي علاقة قوية بالجالية اليهودية في المدينة .

ولأنَّها وحيدة أبويها، فقد عاشت «نيللي» طفولة سعيدة، ولكن شيئاً ما كان يُعكر صفو حياتها، خاصَّة سيطرة الأب القاسية عليها .

سلطان الأب .. ومحاولة تمرُّد مستمرة !

لم يكن الأب «وليام ساخس» يميل إلي تعليم ابنته خارج حدود المنزل، لذا كان

يُدبر لها كافة السُّبل لكي تتم تعليمها في المنزل، وقد ساعدها ذلك أن تنهل في طفولتها وصباها من الأدب الألماني، خاصة الشعر الرومانتيكي .

ورغم أن «نيللي ساخس» عاشت بعيدًا عن البوهيمية الألمانية إلاَّ أنَّها أحست بأن عليها أن تكون بعيدة عن بيتها الضيق، وأن تتخلص من سلطان أبيها القاسية بشيءٍ من التمرُّد !!

وبعد أن انتهت «نيللي» من دراستها أرادت أن تصبح راقصة، ولكنها فوجئت بموقف متشدد من الأسرة وخاصة من أبيها ؛ فاتجهت إلى الكتابة .

قصة حُبّ بائسة !

تعرَّفت «نيللي ساخس» في شبابها علي شابٍ أحبته فاعتبرته خطيبها، وحين تقدَّم لخطبتها رفضه والدها حيث رآه غير مناسب لها، بحجة أنَّه أكبر منها سناً، وهكذا يستمر مسلسل تعنت الأب وسيطرته القاسية علي ابنته .

وقد ظلت «نيللي» تلتقي بهذا الرجل سرّاً طوال ثلاثين عاماً . وعندما تم القبض عليه في عام 1940م من قِبل السلطات النازية والتحقيق معه ؛ فكان ذلك لطمة قوية لاستقرارها في ألمانيا .

لم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد كانت «نيللي» محلاً للاستجواب عن نشاطه السياسي، ومن ثم أصبحت موضع شكوك النازية في ميولها وأعمالها ؛ ممَّا دفعها إلى أن ترحل مع أمِّها إلى السويد .

النزوح إلى السويد :

عقب وفاة والدها في عام 1930 م عاشت «نيللي ساخس» مع أمها في ألمانيا التي حكمها النازيون ؛ فهربتا إلى السويد بمساعدة الروائية السويدية «سلمى لاجيرلوف» واستقرتا في العاصمة استوكهولم، وهناك بدأت في نشر أشعارها .

وفي عام 1950م أفاقت «نيللي ساخس» على صدمة جديدة هي وفاة والدتها.

علاقة حميمة تربط بين «نيللي ساخس» و«سلمى لاجيرلوف»:

اعتبرت الشاعرة «نيللي ساخس» أن «سلمى لاجيرلوف» الكاتبة السويدية الفائزة بجائزة نوبل في الأدب عام 1909 م مثلها الأعلى . فلقد كانت هناك علاقة حبّ قوية وشديدة بينهما، فالهدايا التي هي عبارة عن كتب كانت تأتيها في أعياد ميلادها عبر المراسلات التي قامت بينهما، كما راحت «نيللي ساخس» بدورها ترسل أعمالها إلي الكاتبة السويدية، ومنها كتابها الأول «أساطير وحكايات» .

وفي حياة «نيللي ساخس» كاتب آخر راح يُساعدها هو : «ستيفان زفايج» الذي رأى فيها شاعرة حقيقية، تمثل ثقافة خاصة بها .

مؤثرات شعرية :

نظمت «نيللي ساخس» أولي قصائدها وهي في السابعة عشر من عُمْرها، وبدأت متأثرة بالصوفيين الذين يعشقون اللّه سبحانه وتعالي، وكذلك تأثرها بالعاطفيين والرومانسيين الذين يعشقون الحبّ والموسيقي والموت أيضاً .

وتأثّرت الشاعرة كثيرًا بوفاة حبيبها الذي اعتبرته خطيبها في عام 1943 م، فكتبت قصائد مليئة بالألم والمرارة .

ثقافة «نيللي ساخس» الشعرية :

«نيللي ساخس» ذات ثقافة يهودية أوروبية، وهي الثقافة التي تهتم بمعاناة اليهود، ومتاعبهم، وتؤكّد علي ما حدث في معسكرات الاعتقال علي أيدي النازيين، وهي مفردات لم نجدها عند الروائي الإسرائيلي «يوسف عجنون»، فكانت قصائدها مستوحاة من الثقافة اليهودية، وامتلأت مفردات شعرها بآياتٍ وتعبيرات من العهد القديم .

أهم أعمالها، وتجربتها الشعرية :

في عام 1947م ظهرت مجموعة «نيللي ساخس» الشعرية الأولي المعنونة «في مساكن الموت» وهي أشعار تمكّن بعض الأصدقاء من إحضارها من بيتها القديم في ألمانيا الشرقية التي وقعت تحت أيدي الشيوعيين .

ومساكن الموت في هذه القصائد هي القبور، حيث إنَّه من التقاليد اليهودية أن تُعتبر المقابر بمثابة المنازل الحقيقية، وفي إحدي قصائد هذا الديوان تقول «نيللي ساخس» :

إذا بنيت جدرانك من جديد

منزل، ومنامة، ومائدة، ومقعد

فإن الدموع التي تذرفها عليهم تذوب

لا تُعلِّق الذين يسكنون معك

فوق الصخر ..

فدموعك سوف تزعج نومك

هذا النوم القصير الذي يأتيك

وقد وقعت الشاعرة طوال سنوات عديدة أسيرة لنفس التجربة الإنسانية في أشعارها وذلك حتي حقبة الستينيات من القرن المنصرم. من هذه الموضوعات المتكررة : الحنين، والتساؤل عن كراهية إسرائيل، ومعاناة الكاتب في المنفي، مع أن هذا المنفي لم يكن موجودًا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية !!

ومع منتصف الستينيات اتجهت «نيللي ساخس» أكثر نحو الله، وإن كان قد ازداد تعصبها تجاه إسرائيل وديانتها اليهودية، تقول في إحدي القصائد :

يا شعب الأرض

لا تدمروا عالم الكلمات

ولا تقطعوا بسكين الحقد

الصوت الذي يولد مع الريح

وقد بدا هذا التحول في ديوانيها «هروب ومسخ للكائنات» و «جسر الألغاز»، وفيهما زادت حدة البكائيات والصلوات والابتهالات اليهودية.

«نيللي ساخس» تفوز بجائزة نوبل مناصفة مع يهودي آخر !

يُذكر أنَّه في عام 1965 م حصلت «نيللي ساخس» علي جائزة السلام التي منحتها

لها اتحاد المكتبات الألمانية . وفي عام 1966م حصلت علي جائزة نوبل في الأدب مناصفة مع الكاتب اليهودي «صموئيل يوسف عجنون» Samuel Joseph Agnon .

وحينما أُثيرت التساؤلات عن أسباب منح الجائزة كانت الإجابة : أن في أشعارها مفردات تبدو فيها مناصرة لقوميتها ولإسرائيل (!!) ولذا فإن عام 1966 م قد خصص لتكريم الدولة العبرية من المشرفين علي الجائزة، رغم الأعمال الوحشية التي كانت وما زالت ترتكبها هذه الدولة التي اغتصبت الأراضي العربية بالقوة !!

الرحيل :

لم تترك «نيللي ساخس» السويد، فماتت هناك في عام 1970م، عن عُمْر يُناهز 79 عاماً .

obeikandl.com